العرب
السبت 2021/09/25
السنة 44 العدد 12190

«أبناء المستحيل».. يرسم بسمة النصر على أصحاب الهمم

فيلم سوري يرصد تجربة نجاح واقعية لمُصابين بمتلازمة داون والتوحّد

لا تحفل الإنتاجات السينمائية العالمية ولا العربية كثيرا بموضوع ذوي الاحتياجات الخاصة الذي يخصّ شرائح اجتماعية كبرى في العالم. لكن بعض المحاولات الموجودة هنا وهناك تترك الانطباع بأن هناك أملا في السير بهذه الطريق. ومهرجان أمل السينمائي الدولي الذي أقام دورته الأولى في السويد خلال شهر سبتمبر الجاري، وحصل من خلاله الفيلم السوري القصير "أبناء المستحيل" على جائزته الكبرى، خطوة في هذا الاتجاه.

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – جاء في قرار لجنة التحكيم في مهرجان أمل السينمائي الدولي لأفلام الطفل والمرأة وذوي الاحتياجات الخاصة الذي منح الفيلم السوري "أبناء المستحيل" لمخرجه حسام حمود جائزة أفضل فيلم "يعرض المخرج حسام حمود بطريقة إنسانية ومؤثرة للغاية حياة شخصين يواجهان مشاكل يومية بسبب إعاقتهما، هو يعطي نظرة ثاقبة للموضوع ولا يزال بالإمكان العثور عليهما في العديد من البلدان. مع وجود الكثير من المشاعر داخل صور ووجوه الممثلين، لم يكن الفيلم بحاجة إلى كلمات لترك المتفرج متحرّكا".

وأضافت لجنة التحكيم "نجح المخرج في إنتاج فيلم هادف يعطي الأمل. إذا حاول الناس أن يكونوا منفتحين وواجهوا سلوكيات الأشخاص الأقل حظًا دون خوف أو جهل، فيمكنهم منحهم الأمل والثقة بالنفس. بهذه الطريقة يمكن للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة أن يكونوا جزءًا من المجتمع، وأن يتغلّبوا على مخاوفهم ويطوّروا مواهبهم وإبداعهم".

سينما مغيّبة

الفيلم يشكّل حالة استثنائية في السينما السورية كونه حقّق خطوة إنتاجية خاصة قدّمت فيلما عالج موضوعا حياتيا هاما بإمكانات إنتاجية شبه منعدمة. وساهم ولو بحد أدنى في تقديم القطاع الخاص لفيلم سينمائي. ورغم شحّ الإنتاج والإمكانات البسيطة فإن تعاون فريق العمل ومخرجه ذلّل كل المصاعب وحقّق العمل في أول ظهور له جائزة في مهرجان دولي.

و"أبناء المستحيل" سيناريو وإخراج حسام حمود، ومن بطولة سلوى جميل ومروان غريواتي ومحمد حسن البيك ونور سكري وسوسن إسماعيل، وتصوير ومونتاج أحمد نعمة، ومساعد مخرج حسن طحان وإشراف ريتا بللوز.

ويقول كاتب ومخرج الفيلم حسام حمود عن تجربته في الفيلم "عندما طرحت فكرة إنتاج الفيلم كنت على بيّنة من المصاعب التي ستواجهنا جميعا وكان أهمها المستوى الإنتاجي القليل. لكن روح التحدّي وضرورة عمل شيء مفيد تجاه هؤلاء الناس جعلتانى وفريق العمل نُقدم على المحاولة، وهذا ما كان فعلا، واستطاع الفريق أن يصل بالفيلم إلى الاكتمال".

ويسترسل "لم أكن أريد ولم أفكّر في مشاركة الفيلم بأي مهرجان محلي أو عالمي لمعرفتي بأن السوية الفنية والإنتاجية ليست في مصلحته. لكن أحد الأصدقاء الذين شاهدوا الفيلم وآمن به شجّعني على المشاركة به في مهرجان أمل في دورته الأولى. ومثّل الفيلم المشاركة السورية الوحيدة فيه متنافسا مع العشرات من الأفلام العربية والعالمية".

وعن الجائزة التي حقّقها الفيلم، يقول "بالطبع أنا سعيد بقرار لجنة التحكيم كونها منحت جائزتها الكبرى للمهرجان، وهي خطوة كبيرة بالنسبة إلي في مسيرتي الفنية. وهي لفتة ومشاركة مني في شرح وجهة نظري تجاه هؤلاء الأشخاص الذين نراهم بيننا، وهم يعيشون حياتهم بقوة وعزيمة رغم ظرفهم الصحي الاستثنائي".

وبيّن حمود أن "أبناء المستحيل" يرصد تجربة واقعية لحالات إنسانية خاصة بالمصابين بمتلازمة داون والتوحد، ويدعو إلى رعايتهم والارتقاء بإمكاناتهم وتطويرها ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، كما يحثّ الأطفال على حسن التعامل معهم كونهم شريحة تتمتّع بالذكاء والحساسيّة المفرطة.

وسبق للمخرج حسام حمود أن نفّذ العديد من الأفلام الروائية التلفزيونية والسينمائية، وله مساهمات في المسرح في مدينة حلب كما عمل في التلفزيون السوداني. وحاز فيلمه "الموت حبا" قبل عدة سنوات الجائزة الذهبية في مهرجان بيروت الدولي للسينما والتلفزيون، وكان من بطولة صباح الجزائري وسوزان نجم الدين وآخرين.

ولا تظهر سينما أصحاب ذوي الاحتياجات الخاصة كثيرا في العالم، وتقتصر الإنتاجات على بعض المحاولات النادرة لبعض الشخصيات الفنية المهتمة بالموضوع لسبب أو لآخر.

وفي العالم العربي لا تبدو الأمور أحسن حالا، فرغم وجود العشرات من الجهات الإنتاجية السينمائية وكذلك المهرجانات السينمائية داخل العالم العربي وخارجه فإن حصة ذوي الاحتياجات الخاصة تكون دائما قليلة.

حسام حمود

روح التحدّي وضرورة عمل شيء مفيد جعلتانا نُغامر

وفي العام 1970 ظهر مهرجان "سوبر فيست" لأفلام الإعاقة، وهو أقدم مهرجان عالمي عُني بهذا الأمر، كما يخصّص مهرجان بلغراد جزءا من برامجه لعرض هذا الشكل من الأفلام. أما عربيا فلا توجد مهرجانات خاصة بهذا النمط من السينما ويقوم بعضها بتنظيم تظاهرات أو احتفاليات خاصة أحيانا.

وسبق للسينما السورية أن عالجت موضوع ذوي الاحتياجات الخاصة من قبل في فيلم أنتجته المؤسسة العامة للسينما عام 2012 حمل عنوان "عرائس السكر" سيناريو ديانا فارس وإخراج سهير سرميني في أول تجربة سينمائية لهما. وتصدّى لموضوع صبية يافعة تعاني من متلازمة داون والتي تضعها في مخاطر حياتية كبرى نتيجة النظرة الدونية والاستغلال الذي يمكن أن يحيطها به بعض الناس في مجتمعها.

كذلك قدّمت الدراما السورية مسلسلا شهيرا كان له تأثير هام في الشارع السوري والعربي عام 2008 حمل عنوان "وراء الشمس" سيناريو محمد العاص وإخراج سمير حسين وأدّى البطولة فيه بسام كوسا وشاب يعاني فعلا من عارض صحي عصبي. وحقّق العمل الكثير من النجاح والتعاطف داخل سوريا وخارجها، وقالت عنه سهام دللو وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل حينها "إن ما حققه المسلسل تجاوز بمراحل عمل الوزارة بسنوات".

تجربة فريدة

خلال شهر سبتمبر الحالي انطلقت في العاصمة السويدية ستوكهولم الدورة الأولى لمهرجان الأمل السينمائي الدولي لأفلام المرأة وذوي الاحتياجات الخاصة. وفي الثالث عشر منه أعلنت نتائج الدورة الأولى من المهرجان الذي نظم مسابقتين للفيلم الروائي الطويل والقصير شارك فيها أربعة وثلاثون فيلما من أربع وعشرين دولة.

تكوّنت لجنة تحكيم مسابقة الأفلام الروائية الطويلة من الناقد السينمائي المصري الأمير أباظة والمخرج البريطاني كيث شيري والممثلة والمنتجة اللبنانية ميريل بانوسيان، حيث حصل المخرج الكازاخستاني أديل خان يرزانوف على جائزة أفضل مخرج عن فيلم "القطة الصفراء"، فيما ذهبت جائزة أفضل ممثلة مناصفة بين حنان مطاوع عن فيلم "قابل للكسر" من مصر والأميركية أوليفيا دي أبو عن فيلم "أنجي: فتيات ضائعات".

أما لجنة تحكيم الأفلام القصيرة فضمّت كلا من الممثلة الألمانية مارينا أنا إيتش والمنتج البلجيكي مارك بيسون والمنتجة السويدية سينثيا بولسين، والتي توّجت الفيلم السوري "أبناء المستحيل" للمخرج حسام حمود بجائزة أفضل فيلم قصير، فيما فاز الفيلم الموريتاني "كافيا" للمخرج خليفة ساي بجائزة لجنة التحكيم، كما حاز الطفل نظيم بنيدجا بطل الفيلم الجزائري "سيعود" على تنويه خاص.

يدا بيد نحو عالم أفضل

وعن المهرجان وطموحاته السينمائية والإنسانية، قال مؤسّس المهرجان الفنان اللبناني فادي اللوند "المهرجان يتّجه لدعم الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة" مبيّنا أنهم قاموا بعرض الأفلام في ستوكهولم وعلى شبكة الإنترنت تماشيا مع الأجواء العامة التي فرضتها جائحة كورونا في العالم، حيث حفل المهرجان بالعديد من الأفلام التي عالجت قضايا إنسانية هامة.

أما مدير المهرجان المخرج العُماني خالد الزدجالي، فقال عنه "تميّزت الدورة التأسيسية من المهرجان بجمعها للعديد من القامات الفنية والعربية والعالمية منها المخرجة الفرنسية بريجيت ساي واللبنانية كارول سماحة والمصرية إلهام شاهين اللاتي أضفن على المهرجان بريقا خاصا".

وعن مكانة المهرجان عربيا في خارطة المهرجانات السينمائية العربية المقامة في أوروبا، قالت الناقدة المصرية ميرفت عمر المدير الفني للمهرجان والوجه المعروف في مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط "آمل أن يشكّل المهرجان خطوة ضرورية ونقلة للأمام في المهرجانات السينمائية العربية التي تقام في أوروبا، والتي تحمل آفاقا مختلفة تخدم أهدافا وقيما إنسانية عليا".

الجونة السينمائي يحتفي بجديد الأفلام العالمية في دورة حضورية

الجونة (مصر) – ضمن مساعيه لتقديم أفضل الإنتاجات السينمائية العالمية، أعلن مهرجان الجونة السينمائي عن اختياره لأحد عشر فيلما عالميا ستعرض في دورته الخامسة، المقرّر أن تقام حضوريا هذا العام في الفترة الممتدة بين الرابع عشر والثاني والعشرين من أكتوبر القادم في مدينة الجونة، الواقعة على شاطئ البحر الأحمر جنوب شرق القاهرة.

وأفاد القائمون على المهرجان أنه "على عكس ندرة الأفلام الجيدة في العام الماضي نتيجة تفشي وباء كوفيد – 19، فإن قائمة الأفلام العالمية التي تم إصدارها مع عودة المهرجانات السينمائية، جعلت عملية الاختيار أسهل من ناحية الوفرة وأصعب من ناحية الانتقاء، خاصة مع الوضع في الاعتبار، تنوّع الأساليب الفنية والمواضيع والتنوّع الجغرافي، إضافة إلى التوازن بين اختيار أفلام لمخرجين معروفين عالميا ومخرجين صاعدين حقّقت أفلامهم نجاحا وتميزا حديثا في الوسط السينمائي الدولي".

ومن المسابقة الرسمية لمهرجان فينيسيا السينمائي الثامن والسبعين يشارك فيلمان فرنسيان هما "عالم آخر" لستيفان بريزي و"واقعة" لأودري ديوان. ويدور الأول حول فيليب المدير التنفيذي لمجموعة صناعية، الذي يتعرّض للحظة صعبة تضع حياته الأسرية والعملية على المحك وتدفعه لاتخاذ قرارات صعبة على جميع المستويات. بينما يدور "واقعة" الذي حصد جائزة الأسد الذهبي في المهرجان الإيطالي العريق، حول آن الشابة الفرنسية التي تُحاول الإجهاض في فرنسا الستينات، حيث ما تودّه مُجرَم قانونيا.

أفلام تشجّع على التفكير والتأمل

ومن المسابقة ذاتها، يُشارك فيلم "غروب" للمخرج المكسيكي ميشيل فرانكو الذي يعود بفيلمه الأحدث من بطولة تيم روث الذي يلعب دور نيل بينيت البريطاني الثريّ الذي يقضي عطلته مع عائلته في منتجع فاخر في أكابولكو، حيث يبدو في البداية أنه لا يريد شيئا، إلا أنه وكعادة أفلام فرانكو فإن التصاعدات تتكشّف تدريجيا دون إفصاح حواري، جراء حدوث وفاة في الأسرة، فيتوجّب على نيل العودة، وهو الأمر الذي يحاول تأجيله.

ومن فنلندا يُشارك فيلم "الرجل الأعمى الذي لم يرغب بمشاهدة تيتانيك" لتيمو نيكي، وهو فيلم ذو أسلوب استثنائي يدور حول ياكو الكفيف المقيّد بكرسي متحرّك، والذي يودّ مقابلة حبيبته سيربا التي تقطن بعيدا، ورغم إعاقته الشديدة وعدم مغادرته المنزل أبدا دون مساعدة، إلا أنه يقرّر قبول المخاطرة لتتحوّل رحلة قد تبدو عادية إلى فيلم طريق استثنائي، الأمر الذي جعله يفوز بجائزة الجمهور في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي الأخير.

فيلم طريق آخر يُشارك في الدورة الخامسة من المهرجان المصري، هو "مقصورة رقم 6" ليوهو كوشماني، وهو إنتاج مشترك بين فنلندا وألمانيا وإستونيا وروسيا، يدور بأكمله في مقصورة قطار، تتشكّل فيها علاقة إنسانية شديدة الخصوصية بين امرأة فنلندية شابة وعامل منجم روسي، ورغم أنهما لا يتشابهان ظاهريا، إلا أن الرحلة تكشف توقهما للتواصل الإنساني. وفاز الفيلم بالجائزة الكبرى في مهرجان كان السينمائي 2021.

وللمخرج الصيني الشهير زانج ييمو يُعرض فيلم "ثانية واحدة"، وهو الفيلم الذي افتتح مهرجان سان سباستيان السينمائي الدولي. وتدور أحداثه في الصين خلال الثورة الثقافية، حيث يهرب سجين مجهول الهوية من معسكر عمل، ويُخاطر بكل شيء للبحث عن بكرة فيلم مسروقة تظهر فيها ابنته المفقودة منذ زمن طويل. ويصادف في طريقه فتاة يتيمة بائسة تطاردها خسارتها الفادحة.

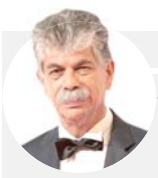

انتشال التميمي

اخترنا هذا العام مجموعة منتقاة من الأفلام المرجعية الحديثة

أما من كرواتيا، فيُشارك فيلم "مورينا" لأنتونيتا آلامات كوسيانوفيتش، وهو إنتاج مشترك مع البرازيل والولايات المتحدة الأميركية وسلوفينيا، ويدور حول كسر العزلة التي يعيشها أب وابنته في جزيرة كرواتية بواسطة وصول صديق قديم للعائلة إلى منزلهما، فيتصاعد التوتّر بين الأب وابنته. ونال الفيلم جائزة الكاميرا الذهبية "جائزة أفضل عمل أول" في مهرجان كان السينمائي الأخير.

ومن مهرجان كان أيضا، يُشارك الفيلم الجورجي – الروسي المشترك "إرخاء القبضات" لكيرا كوفالينكو – فاز بجائزة قسم "نظرة ما" – ويدور حول شابة تكافح للتخلّص من قبضة الأسرة الخانقة في بلدة تعدين سابقة في أوسيتيا الشمالية، وهي ذات الأسرة التي تحبها قدر ما ترفضها.

كما يشارك الفيلم الأحدث للمخرج الفرنسي جاك أودبار "الأولمبياد"، الذي عُرض بدوره في الدورة الرابعة والسبعين من مهرجان كان السينمائي، وتدور أحداثه في باريس حيث تلتقي إيميلي بكاميل، الذي ينجذب إلى نورا، التي تتعرّف بشكل مفاجئ على أمبر. ثلاث فتيات وصبي يعيدون تعريف مفهوم الحب في العصر الحديث.

ومن المجر يشارك دينيش ناجي مخرج "ضوء طبيعي"، وهو فيلم مشترك بين المجر وفرنسا وألمانيا ولاتفيا، والذي تدور أحداثه أثناء الحرب العالمية الثانية حول مزارع بسيط يعمل جنديا في الجيش المجري ويجد نفسه شاهدا على مذبحة جماعية مروّعة، وفاز الفيلم بجائزة الدب الفضي، أفضل إخراج، في مهرجان برلين السينمائي 2021.

وأخيرا، يُشارك فيلم الممثلة والمخرجة الألمانية ماريا شرايدر "أنا رجُلك"، الذي يحكي قصة ألما، الباحثة في متحف بيرجامون الشهير، والتي يتم إقناعها، للحصول على منحتها البحثية، بالمُشاركة في بحث استثنائي يشترط عليها أن تمضي ثلاثة أسابيع مع إنسان آلي على هيئة رجل، مصمّم وفقا لشخصيتها واحتياجاتها، ويتمتّع بذكاء صناعي يؤهّله ليكون الرفيق المثالي لها.

وتعليقا على اختيارات هذا العام، قال انتشال التميمي مدير المهرجان "متأثرين بمخرجي الأفلام وقصصهم التي حوّلوها إلى الشاشة من جميع أنحاء العالم، اخترنا هذا العام مجموعة منتقاة من الأفلام المرجعية الحديثة التي ستحرّك مشاعر الجمهور وتشجّع على التفكير والتأمل. فخورين باختياراتنا وبرنامج الدورة الخامسة للمهرجان".

فيما قال أمير رمسيس المدير الفني للمهرجان "لطالما أُعجبنا بالمواهب العظيمة والقصص الملهمة التي تقدّمها لنا الأفلام الروائية الطويلة. هنا في مهرجان الجونة السينمائي، سنظلّ مخلصين إلى الأبد لسعينا مُشاركة هذه الأفلام المذهلة مع جمهورنا من محبي السينما ومخرجي الأفلام الطموحين".

القائمة تضم فيلمي «واقعة» الفائز بالأسد الذهبي لفينيسيا و«مقصورة رقم 6» الحاصل على الجائزة الكبرى في كان